

رد الفعل الاجتماعيّ للسخرية عبر تسليط الضوء علي الآية ١١ من سورة الحجرات لدي بعض المفسرين

طالب الدكتوراه سلمان حبيبي

فرع علوم القرآن والحديث - جامعة آزاد الإسلامية خرم آباد - إيران

salmanhabibi131@gmail.com

الدكتور يد الله ملكي (الكاتب المسؤول)

عضو الهيئة العلمية - جامعة آزاد الإسلامية خرم آباد - قسم علوم القرآن والحديث -

إيران

yadollahmaleki@yahoo.com

الأستاذ المساعد الدكتور جعفر تابان

عضو الهيئة العلمية - كلية الشهيد محلاتي قم - قسم علوم القرآن والحديث - إيران

The social reaction to sarcasm by highlighting verse 11 of Surat Al-Hujurat by some interpreters

Doctoral student, Salman Habibi

**Department of Quran and Hadith Sciences , Islamic Azad University,
Khorramabad , Iran**

Dr. Yadullah Malaki (Author Writer)

**Member of the Academic Staff , Azad Islamic University, Khorramabad ,
Department of Quranic and Hadith Sciences , Iran**

Assistant Professor Dr. Jaafar Taban

**Member of the Academic Staff , Martyr Mahali Qom College , Department of
Quran and Hadith Sciences , Iran**

Abstract:

Allah Almighty stated in the Holy Quran, for the unethical act of slander, the causes, factors, and, finally, the feedback. Some commentators explain the results of this practice in interpreting the verses mentioned in verse 11 of Surah al-Hijarat»O ye who believe! Do not make fun of some people ... and do not touch yourselves, and do not wear false names ... and those who do not repent are those who are unjust«The disappearance of peace and social affairs, the entrance to the community of oppressors, the loss of goodness and conscience of the society and, in general, the deviation from human values, as well as the trickery and mockery of the current habit and tradition for the perpetrators, the source of which is the quagmire And there is no doubt that the Almighty God will ridicule the scoffers in the world and the Hereafter because the mockery is the final stage of disbelief. The significance of this research is because familiarity with the tale and its effects is one of the valuable issues that has been emphasized on the ugliness and zeal of this practice in the religion of Islam.

Key words : Social feedback , Sagea , Verse 11 of Surah Hijarat , commentators

الملخص :

الله تبارك وتعالى يبين في القرآن الكريم بعض العلل والمسببات لفعل السخرية غير الأخلاقي وفي الختام يذكر رد الفعل الاجتماعي تجاه هذا الفعل. بعض المفسرين بعد ذكرهم النتائج الناجمة عن هذا الفعل في ذيل الآيات المذكورة كآية ١١ من سورة الحجرات«يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم....ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب....ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون» بينوا أن هذا الفعل يؤدي إلي: انعدام السلام والصلح الاجتماعي والمحبة؛ الدخول إلي مجتمع مظلم؛ زوال الخير وتضامن المجتمع؛ الابتعاد عن القيم الإنسانية. مضافا إلي ما ذكر، أن السخرية والاستهزاء من عادات وسنن المجرمين السارية والتي تنبع من الكبر والخيلاء ولا ريب أن الله تبارك وتعالى يهلك المستهزئين في الدنيا والآخرة إذ إن السخرية هي المرحلة الأخيرة من مراحل الكفر. يستمد هذا البحث أهميته حيث إن التعرف علي السخرية وآثارها من القضايا القيمة وأن دين الإسلام الحنيف قد أكد كثيرا علي قبح هذا الفعل ووضاعته.

الكلمات الرئيسية : رد الفعل الاجتماعي -

السخرية - الآية الحادية عشرة من سورة الحجرات - المفسرون .

بيان المسألة:

القرآن الكريم يبين الكثير من الآيات التي تتناول الاجتماع وأن الأسرة باعتبارها مجتمعا متطورة رغم صغر حجمه تستطيع أن تُثري التعاملات الثقافية المختلفة والتربوية نحو اتجاه إيجابي أو سلبي داخل مجتمع أوسع وأكبر. إحدي القضايا التي تُكوّن السلوك الاجتماعي الحسن أو القبيح هي بحث السخرية والاستهزاء التي تطرق لها القرآن الكريم علي نحو شامل وعدّها رذيلة من الرذائل الأخلاقية وسط المجتمع البشري وتناول أمورا ذات صلة بها كاجتناب السخرية؛ والتوبة منها وتحريمها واللوم عليها وأنها إثم وبيان المستهزئين وتحذيرهم.

هناك بعض الآيات الكريمة تريد وفقا لأسلوب ومنهج خاص أن تهدي الإنسان. من جملة هذا المناهج التي يستفيد منها القرآن لهذه الغاية قد يكون أسلوب الاستهزاء (حسيني زاده، ص ١٥١-١٥٨؛ أسلوب السخرية، ص ٢٨). كثيرا ما يرد أسلوب الاستهزاء في القرآن علي شكل التشبيه والتمثيل؛ بمعنى أن القرآن الكريم في بعض الأحيان يشبه المشركين الخاطئين وأعمالهم عبر أسلوب ساخر ببعض الأشياء أو يمثل حالهم ببعض ما ترغب به نفوسهم؛ كل ذلك بغية أن يردعوا عن غيهم وركوبهم الإثم؛ كما أنه شبه المشركين في آيات ٥٠-٥١ من سورة المدثر/ ٧٤ بحمرٍ قد استنفرت من أمام قسورة قائلا: "كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة" كذلك شبه بعض أحبار اليهود ممن لا يلتزمون بما جاء في كتابهم المقدس بحمير تحمل فوق ظهورها الكتب وليس لها من هذه الكتب إلا الورق والثقل والتعب دون أن تنتفع بما حملت ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْبَةَ ثُمَّ لَمْ يُحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ (سورة الجمعة / ٦٢؛ ٥) كما أنه قد تُستخدم مفردة «البشارة» الموضوع للأمورة الحسنة ذات البهجة والفرح والمسرّة عبر أسلوب ساخر للعذاب والتبشير به (مكارم شيرازي؛ ١٣٧٤؛ ج ٢؛ ص ٤٨٠): ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (آل عمران/ ٣؛ ٢١). كما أنه قد يشبه صوت من يتحدث بصوت عال بنهيق الحمير ليدعوا ذا الصوت المرتفع إلي الإغضاض من صوته: ﴿وَأَغْضَضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (سورة لقمان/ ٣١؛ ١٩). حتي أنه عندما يتحدث إلي الإنسان

المتكبر يخاطبه بلهجة ساخرة قائلا: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ
الْجِبَالَ طُولًا﴾ (سورة الإسراء/١٧، ٣٧). أيضا حينما ينقل عن لسان إبراهيم لما سأله:
مَنْ حَطَّمَ الْأَصْنَامَ؟ رَدَّ عَلَيْهِمْ مُسْتَعْدَمًا السخرية: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا
فَتَشَاوَوْهُمْ إِنَّ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ (سورة أنبياء/٢١، ٦٣). وهذا الأسلوب والتصرف من
قبل إبراهيم (عليه السلام) كان ذا أثر عظيم في نفوسهم مما أدي إلي أن ينبهوا إلي خطأ
طريقتهم: ﴿فَرَحَعُوا إِلَيْهِ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٦٤) ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ
عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ (سورة الأنبياء/٢١؛ ٦٤-٦٥). في الحقيقة إن الآيات التي
تطرق إلي أسلوب السخرية والاستهزاء يمكن القول عنها: لم وبأي غرض استخدمت
كل هذا التوكيد مصرّة علي نبذ وترك هذه الرذيلة؟

علي الرغم من أن لكل أسلوب من أساليب السخرية نتائج وثمار مختلفة إلا أن هذا
البحث يهدف إلي أن يتناول النتائج الإجمالية والحديثة في المجتمع البشري.

مفاهيم البحث:

١- رد الفعل:

هو نوع لعودة رسالة تواصلية تكون فيها النتائج عمدا ذات تفاعل مع رسالة المرسل
وبالتالي يظهر حجم النتائج وجودتها وفقا للمقدار المخصص. هذه الرسالة تمكن
المرسل أن أن يقيم ظروف التواصل مع جهات الاتصال. النظم التواصلية،
الاجتماعية... تعتبر الاستفادة من ردة الفعل وحلقات النتائج وسيلة لإصلاح وتحسين
ذاتها.

٢- السخرية

مفردة «سخرية» أخذت من جذر «س خ ر» الدال علي تصغير أحد أو شيء أو
عد ذلك الشيء أو الشخص صغيرا وحقيقا؛ كما أن «التسخير» المأخوذ من هذا الجذر
يدل علي سياق شيء إلي الغرض قهرا أو تطويعه للخدمة من دون مقابل (راغب
الإصفهاني؛ ١٤٠٤). وأن مصدر «سخرية» مرادف تقريبا لمصدر «سُخِرَ» و«استهزاء»
(جذر هزء) وهذه المصادر فضلا عن معني الاحتقار والإذلال تتضمن معني السخرية

رد الفعل الاجتماعي للسخرة عبر تسليط الضوء على الآية ١١ من سورة الحجرات..... (289)

أيضا.(ابن منظور) ووفقا لتعريف الغزالي؛ فإن السخرة هي لفت الانتباه إلي عيوب الآخرين لإثارة ضحكهم سواء عبر الكلام أو من خلال الهمز أو الإشارة أو عبر طرق أخرى.

مفهوم السخرة ورد في القرآن الكريم لمعنيين أساسيين: الأول أنه أسلوب من أساليب المشركين والمنافقين المعارضة للدين يريدون بها مواجهة الرسول الأكرم (ﷺ) والمؤمنين؛ والثاني يعتبر رذيلة قد نهى الله المؤمنين عن استخدامها. غير أن عند ما يرد معني السخرة في الأحاديث غالبا ما يراد به المفهوم الثاني للسخرة وفي بعض الأحيان يتم استخدامها في مجالات أخرى.(الغزالي، ١٣٩٣، ج٢، ص١٤٠).

٣- الاستهزاء

الاستهزاء يأتي من جذر (ه ز ء)؛ وفي اللغة جاء بمعنى إرادة التحقير لأحد ما بأي وسيلة كانت أو طريقة وجدت (مصطفوي؛ ١٣٨٠؛ ج١١؛ ٢٥٦) وأما معناه الاصطلاحي: فهو السُّخر من بعض الأشخاص من خلال الكلام أو بعمل ما ك: الهمز والمز والغمز أو عبر الجوارح الأخرى (نراقي؛ ج٢؛ ص٢٩٧) إلا أن القصد من هذا الفعل في الغالب هو إذلال وتحقير والإساءة إلي الآخرين وقد يتم أيضا لأهداف أخرى مثل: توفير الأرضية لإدخال البهجة والفرح علي نفس من يقوم بمثل هذا الفعل أو الآخرين؛ أو لتقوية معنويات الذات والتضعيف من معنويات الخصم؛ أو تعويض بعض ما يشعر به الفرد من نقص في داخله وفي شخصيته؛ أو إرضاء للشعور الذي يريد الأذي للآخرين.... وتارة يتم كعقوبة أو من أجل تربية شخص أو مجتمع وحيث يكون هكذا فعل ممدوحا لا مذموما(المرجع السابق؛ ص٥٠٢).

نبذة عن ردة الفعل الفردي للاستهزاء

١-١- الاستهزاء عبر الإشارة (الهمز واللمن)

﴿وَلَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (الهمزة، ١).

إن المستهزئين بالآخرين سواء بالإشارة أو الكلام يشملهم عذاب الله ولعنته ولهم الوعيد بالعذاب.

رد الفعل الاجتماعي للسخرية عبر تسليط الضوء على الآية ١١ من سورة الحجرات..... (290)

يذهب بعض المفسرين أن المراد من كلمة (ويل) هو اللعن والطرء من رحمة الله تعالى وذكروا: أن المقصود باللعن في مثل هكذا هو الوعيد بالعقاب. مضافا إلى الرأي السالف كأن هناك فرقا بين الهمز واللمز بينه بعض أهل اللغة فقد أوضحوا أن (الهمز): هو أن يؤدي أحد جلسائه بكلمات جارحة وسيئة، و(اللمز) أن يشير إلى جلسائه بالغمز وبحركات الرأس (قاصدا بذلك أن يؤديه) (الطبرسي، ١٣٦٠، ج ١٠، ص ٥٣٧).

هذه السورة التي وردت فيها هاتان الكلمتان هي وعيد عظيم لمحبي المال ممن يريد التسليط على رقاب العباد بجني المال الجرم والتكبر عليهم فيسخر منهم ما هو ليس بعيب كما أن هذه السورة نزلت بمكة { متضمنة لوعيد عظيم لجامعي المال وأن من أوصافهم؛ الهمز واللمز ممن يرون أن المال مخلدهم }.

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾

جاء في مجمع البيان: كلمة "الهمز" تشير إلى من يسخر من الناس وينقم منهم ويعيب عليهم كثيرا ومن دون سبب وجيه يوجب السخرية.

وكلمة "اللمز" مأخوذة من جذر «همز» ومعناها «التحطيم» وكلمة "اللمز" معناها العيب. فإذا الهمز واللمز معناهما واحد غير أن بعض المفسرين فرق بين معنيهما وأن "الهمز" هو أن يعيب الناس في غيبتهم ويسخر منهم وأن "اللمز" هو من يعيب الناس في وجوههم وعند حضورهم - نقلا عن ليث.

قال بعضهم إن الهمز هو أن يؤدي أحد جلسائه بالكلام السييء غير اللائق واللمز هو أن يشير أحدهم إلى جلسائه بالغمز وحركات الرأس ليسخر منهم ويقلد حركاته بقصد أن يشنع عليهم.

لا يقال إن صيغة المبالغة مبنية للمبالغة في صفة ما حتى يكون الموصوف بها يتصرف وفق ما تمليه عليه بحيث إن الفعل الصادر عن المتصرف بها يكون ديدن الموصوف بها ودأبه فعلي سبيل المثال يقال للرجل الذي يتزوج كثيرا «نكحة» ومن يضحك كثيرا «ضحكة»، كذلك «الهمزة واللمزة» مبنيتان على المبالغة وداخلتان في هذا الباب (الطبرسي، ١٣٦٠، ج ١٠، ص ٥٣٧).

٢-١- السخرية عبر السؤال

وعد المستهزون بالرسول (ﷺ) بعذاب أليم وذلك لإثارتهم أسئلة عن أمور غيبية. يسألك عن الناس عن الساعة... وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً.. فمن المحتمل أن يكون ذكر الأسئلة السالفة كانت للإستهزاء بالرسول (ﷺ)... ونظراً إلي تكرير الاسم الظاهر بدل الإضممار فقد يكون الغرض من ذلك هو التهديد للمستهزين: يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً (الأحزاب؛ ٦٣).

وبما أن الإستهزاء بمحمد ذاته يعد إيذاء للأخريين فرأي السيد الطباطبائي هو: جمعينا يعلم أن الله تعالى أسمى وأرفع من أن يستطيع أحد من عباده إيذائه أو أن ينسب له ما يشعر بالنقص والذل، فحينما نشاهد أن الآية تقرن الله تعالى مع رسوله في إيذاء المشركين له نعرف أن المراد تكريم وحفظ حرمة الرسول (ﷺ) بحيث تعد إيذاء الرسول (ﷺ) إيذاءً لله تبارك وتعالى وذلك لأن الرسول ليس له غاية غير إرضاء الله تعالى فمن قصده بأمر سواء كان حسناً أو سيئاً فقد قصده الله تعالى بما أراد. الآية الآتفة تبين أن الأشخاص الذين يتغنون إيذاء الرسول (ﷺ) وعدوا باللعن في الدنيا والآخرة؛ ومعني اللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله وبما أن الرحمة التي تختص بالمؤمنين هي هدايتهم نحو الحق والإيمان الحقيقي ومن ثم العمل الصالح فبتالي الإبعاد عن الرحمة في الدنيا يعني حرمانهم من الهداية وهذا الحرمان يضاهي كفرهم فالنتيجة تكون هي طبع القلوب لهم الذي ذكرته الآية ﴿لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ (المائدة ١٣) و﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء ٤٦) و﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ﴾ (محمد ٢٣). والآية التي تمت مناقشتها تنطبق تماماً مع هذه الآيات.

هذا معني اللعن في الدنيا أما اللعن في الآخرة إبعادهم من رحمة القرب وقد ذكر في موضع آخر: "كلا إنهم عن ربهم لمحبوبون" في الآية التي يتم مناقشتها بعد لعنه من يؤذي رسول الله (ﷺ) يهددهم ويعددهم بأن لهم عذاب مخزي في الدنيا والآخرة.

رد الفعل الاجتماعي للسخرة عبر تسليط الضوء على الآية ١١ من سورة الحجرات..... (292)

قد وصف عذابهم بأنه مخزي ليكون عوضاً وعقوبة لكبرهم ولأنهم أساءوا لله ورسوله في الدنيا.

وإذا سمي هذا السلوك منهم بالإثم المبين فلأن عقل الإنسان يستوعب الأمور من مثل الإفتراء والبهتان ولا يحتاج إلي نهى يصدر من قبل الشارع بشأنها (الطباطبائي؛ ١٣٧٤، ج ١٦؛ ص ٥٠٩).

ومن المحتمل أن يكون هذا تسليّة لرسول الله (ﷺ) يعني يا أيها الرسول اعلم أن يوم الحساب قريب فلا يضق صدرك بما يقولون لك من قول ساخر وكلام ناب (الطبرسي، ج ٢٠، ص: ١٨٣).

١-٣- الجهل وعدم المعرفة

إن خلفية السخرة والاستهزاء بالآخرين نابعة عن الجهل. ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ خَذُهَا هَؤُلَاءِ قَالُوا أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

هذه الآية تحكي قصة بقرة بني إسرائيل وقد سميت السورة التي وردت فيها هذه الآية بسورة البقرة لأجل هذه القصة ولأجل قص القرآن العجيب لهذه القصة (الطباطبائي، ١٣٧٤، ج ١، ص ٣٠٢).

١-٤- الوعيد والعقاب

إحباط العمل وتصيير الشخص جهنمياً

الاستهزاء بالرسول وآياته طريقة من طرق الكفار وسبب من أسباب حبط أعمالهم وتصييرهم جهنمين.

﴿ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِهِمْ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾.

هذه هي النتيجة التي يواجهها المستهزؤون جراء فعلهم فإذن حبط العمل له علاقة بالأعمال. علماً أن ارتباطه يكون من جهة الأثر السلبي.

وهذا التعبير ورد في سورة الكهف، الآية ١٠٦ بعد بيان عقوبتهم ذكر الباعث الثالث لانحرافهم وشقاوتهم وخسرانهم قائلاً: "ذلك جزاءهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً".

رد الفعل الاجتماعي للسخرة عبر تسليط الضوء على الآية ١١ من سورة الحجرات..... (293)

وهكذا فقد أنكروا ثلاثة مبادئ من مبادئ الدين (المعاد والنشأة الأولى ورسالة الأنبياء) بل الأنكي من الإنكار أنهم سخروا منها (مكارم شيرازي؛ ١٣٧٤؛ ج ٣، ص ٧٣).
ردة الفعل للاستهزاء في المجتمع

١- زوال السلام والمحبة في المجتمع

السلام والمحبة رهيان بابتعاد أفراد المجتمع عن الاستهزاء والسخرية والتنازع بالألقاب... "إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم.... لا يسخر قوم من قوم... لا تلمزوا أنفسكم..."

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات ١١).

وهذه الآيات نزلت في صفية بنت حبي بن أخطب إحدى نساء الرسول (ﷺ) وذلك أن عائشة وحفصة كانتا تؤذيانهما وتشتمانها وتقولان لها يا بنت اليهودية؛ فشكت ذلك إلي رسول الله ص فقال لها: ألا تحبينهما؟ فقالت بماذا يا رسول الله ص قال قولي: أبي هارون نبي الله وعمي موسى كليم الله وزوجي محمد رسول الله ص فما تنكران مني؟ فقالت لهما فقالتا هذا علمك رسول الله ص فأنزل الله في ذلك "يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسي أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسي أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون" (القمي، ١٣٦٧، ج ٢، ص ٣٢٢).

سؤال: إذا كان الله تعالى نهى عن أن نتنازع بالألقاب فلماذا نسمي طائفة بالقدرية وأخري بالرافضية والخارجية؟

في الإجابة نقول إن من نصر باطلا يحق لنا أن نذكره بالقب لأن الله تعالى ذكر اليهود ولقبهم وكذلك قال مثل ذلك بشأن النصاري وقال أيضا عن بعض المشركين: خلاف مهين هماز مشاء بنميم وأن الرسول ص قد قال: أترعون عن ذكر الفاجر كي يعرفه الناس اذكروه بما فيه كي يحذرهم الناس.

رد الفعل الاجتماعيّ للسخرية عبر تسليط الضوء على الآية ١١ من سورة الحجرات..... (294)

اذن هذا يكون من باب التسمية لا من باب التنايز بالألقاب. (سورآبادي، ١٣٨٠، ج٢، ٢٤٠٢).

لا تسخروا من أنفسكم فقد قيل إن المسلمين باعتبار المعتقد جسد واحد ولأجل هذا فإن السخرية من أحدهم تعد سخرية للنفس. (قرشي، ١٣٧١، ج٦، ص: ٢٠٦).

٢-الدخول إلى مجتمع الظالمين

هذه هي النتيجة التي ينتها الآية ١١ من سورة الحجرات كما أن ترك التوبة عن الاستهزاء والسخرية ونبز المؤمنين بالألقاب تسبب الدخول القطعي للفرد في زمرة الظالمين. لا يسخر قوم من قوم...ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون.

يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسي أن يكونوا خيرا منهم؛ وفقا لهذه الآية لا ينبغي أن يسخر قوم من قوم ظنا منهم أن درجتهم أرفع وأسمي تقييما للآخرين حسب مظهره ذلك أن الظاهر لا يدل دائما علي حال الفرد الحقيقية فلعل من تسيئ الظن به لسوء مظهره وفقره يكون عند الله أرفع درجة من الأغنياء ممن ظاهرهم يدل علي حسن حالهم. روي أنس بن مالك: أن أم سلمة ربطت حقوبها بسبينة وسدلت طرفها خلفها وكانت تجره؛ فقالت عائشة لحفصة: انظري ما تجر كأنه لسان كلب. فقال الله تعالى: "ولا نساء من نساء عسي أن يكن خيرا منهن".

فحسب بعض الأقوال إن هذه الآية نزلت فيمن سخر من أم سلمة لقصرها.

وورد في البرهان أنها نزلت في حق صفية بنت حيي بن أخطب زوجة الرسول ص حينما سخرت عائشة وحفصة منها بقولهما: "يا يهودية بنت اليهودية" فشكت ذلك إلي رسول الله ص فقال لها ص: لم لا تجيئينهما؟ قالت: بم أجبيهما؟ قال: قال قولي: أبي هارون نبي الله وعمي موسى كلیم الله وزوجي محمد رسول الله فما تنكران مني؟ فقالتا: هذا من تعليم رسول الله لك.

ولا تلمزوا أنفسكم:

أي لا يجوز أن تسخروا ممن هو علي دينكم ذلك أن المؤمنين يعدون نفسا واحدا فمن عاب غيره كأنه عاب نفسه وسخر منها وإذا كان الذي تسخر منه علي غير ملة الإسلام جازت السخرية منه حتي أن فقهاءنا أجازوا السخرية من جميع الكفار والمنافقين ولعنهم؛ لعنهم الله جميعا.

ولا تنازوا:

أي لا تنسوا ألقابا غير لائقة لبعضكم البعض كأن تسمون من أسلم من اليهود والنصارى باليهودي والنصراني أو تسمون المؤمنين بالمنافقين.

بئس الاسم الفسوق:

يعني ما أقبح الاسم المتضمن معني الفسق ثم تطلقونه علي البعض فتقولون: هذا يهودي أو نصراني.

"بعد الإيمان" أي تطلقون الاسم المتضمن معني الفسق علي من آمن. أو أن المعني بئس اكتسابكم اسم الفسق من خلال اغتيالكم أهل الإيمان والسخرية منهم. فلا ينبغي تسمية الشخص بالكافر بعد الإيمان أو بالمسيء بعد التوبة.

ومن لم يتب فأولئك هم الفاسقون:

فمن لم يتب عما نهى عنه فقد دخل في جماعة الظالمين لأنهم عصوا في موطن تجب الطاعة فيه.

تنبيه: اللقب هو اسم غير الذي يسمى به الفرد فعلي هذا فالآية تنهي عن أن ننسب للمؤمنين ألقابا غير لائقة ك: يا يهودي أو يا نصراني باعتبار أنهم كانوا فيما مضى يهودا أو نصاري أو ننسب الفسق لمن تاب باعتبار أنه حصل منه الفسق قبل التوبة.

في كتاب الاختصاص يقول الشيخ المفيد رضوان الله عليه: جئت إلي الصادق (عليه السلام) وذكر عنده وهو متكيء سلمان وجعفر الطيار ففضل بعض من حضر عنده جعفرًا علي سلمان وكان من جملة من حضر أبو بصير فقالوا: سلمان مجوسي ثم أسلم وعندها استقام الصادق غاضبا فقال: يا أبا بصير جعله الله علويا بعد أن كان مجوسيا وقرشيا بعد أن كان فارسيا فصلوات الله علي سلمان وإن لجعفر شأنًا يطير مع الملائكة في الجنة (الاختصاص طبعة جامعة المدرسين-قم-ص ٣٤١).

وجاء في رجال الكشي: عند ما ذكر سلمان لدي الباقر ع قال: لا تقولوا سلمان الفارسي ولكن قولوا سلمان المحمدي ذلك سلمان منا أهل البيت.

شأن النزول: أقام سلمان بأمر من صاحب الرسالة ص عند بعض كبار الصحابة، وذات ليلة بعثوا سلمان إلي رسول الله ص يطلب منه لهم طعاما، فقال له: انطلق إلي أسامة بن زيد واطلب منه فضل طعام وإدام إن كان عنده وكان أسامة خازن رسول الله

رد الفعل الاجتماعي للسخرة عبر تسليط الضوء على الآية ١١ من سورة الحجرات..... (296)

ص علي رحله وطعامه فأثاه فقال: ما عندي شيء فرجع سلمان إليهما فأخبرهما فقالوا: كان عند أسامة شيء ولكن بخل فبعثوا سلمان إلي بعض الصحابة فلم يجد عندهم شيئاً فلما رجع... قالوا: لو بعثنا سلمان إلي بئر سحيمة... لغار ماءها... فلما راحوا إلي رسول الله قال ما لي أري خضرة اللحم في أفواهكم فقالوا: ما تناولنا لحماً في يومنا هذا فقال ص: اغتبتما سلمان وأسامة فنزلت الآية (حسيني شاه عبد العظيمي، ١٣٦٣ش، ج١٢؛ ص: ١٩١).

عن محمد بن أبي يعقوب عن أبي علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار عن علي بن حديد عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله ع قال: دخل عليه الطيار وأنا عنده فقال له: جعلت فداك رأيت قول الله عز وجل: "يا أيها الذين آمنوا" في غير مكان من مخاطبة المؤمنين أيدخل في هذا هؤلاء المنافقون؟ قال: نعم يدخل في هذا المنافقون والضلال وكل من أقر بالدعوة الظاهرة (البحراني-١٤١٦-ج٥-ص: ١١٠).

٣-المجرمون والمذنبون في الاجتماع:

المستهزئون برسل الله هم أناس مجرمون"وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون كذلك نسلكه في قلوب المجرمين" ويمكن أن نعر علي هذا المعني أيضا في سورة الأنبياء الآية ٤١ علاوة علي هذا فإن التعامل الساخر من قبل جاحدي الحق مع رسل الله سلام الله عليهم طوال التاريخ يؤيد هذا الأمر"ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا يستهزؤون".

جاء في مجمع البيان: أن الفرق بين السخرة والهزء هو أن السخرة بمعنى إرادة الذلة للغير باللسان والتسخير يعني القهر والتذليل وتسخير الشيء أما الهزء فهو التقليل من شأن الآخرين وقدرهم عبر اللسان.

وكلمة "حاق" بمعنى الحلول والنزول أي حل بهم العذاب ونزل. والمقصود ب"ما كانوا به يستهزؤون" هو العذاب.

هذه الآية تسلية للرسول ص ووعيد للكفار (الطباطبائي، ١٣٧٤، ج١٤، ص٤١٠). من المسلمات أن الرسول الخاتم محمد ص قد أرسل للعالمين كافة من دون استثناء إلي يوم الدين فعلي هذا فإن الآية الكريمة غير مختصة بزمن الرسول ص بل إنها وعيد وتهديد كبيران للمستهزئين برسول الله ص والساخرين منه في كل زمن ومن قبل أي

رد الفعل الاجتماعي للسخرية عبر تسليط الضوء على الآية ١١ من سورة الحجرات (297)

شخص مهما كان قدره ومقامه ومنصبه؛ وأن هؤلاء المستهزئين عاقبتهم ومآلهم لا يختلف عن سبقهم ممن كان في الزمن الغابر (حسيني شاه عبد العظيم، ١٣٦٣، ج ٨، ص: ٣٩٣).

٤- زوال الخير وأساس المجتمع ومقوماته

من الآثار الاجتماعية للسخرية زوال أساس المجتمع والخير والبر في ذلك المجتمع. ويستنبط هذا المضمون من الآية ٤٦ في سورة النساء: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعَ غَيْرُ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعَ وَأَنْظَرَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء، ٤٦).

هذه الآية تبين بعض صفات اليهود وأعمالهم الشنيعة. هذه الآية تبعا للآيات الماضية توضح جملة من صفات أعداء الإسلام وتشير إلى بعض أعمالهم. أحد أعمالهم الشنيعة أنهم يحرفون الحقيقة ويغيرون أوامر الله تعالى فالآية تقول: "من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه".

هذا التحريف قد يكون في اللفظ أو في المعنى والتطبيق غير أن الجمل التالية في الآية تكشف أن المقصود بالتحريف هنا هو التحريف اللفظي وأنهم يقومون بتغيير العبارات لأنهم قالوا: "سمعنا وعصينا" أي لأنهم بدل أن يقولوا "سمعنا وأطعنا" قالوا "سمعنا وعصينا".

ثم يشير إلى جانب آخر من حديثهم العدائي والممزوج بالوقاحة والجرأة قائلا: "واسمع غير مسمع".

مضافا إلى هذا أنهم يقولون "راعنا" وشرحه هذا:

"المسلمون الحقيقيون في بداية الدعوة كي يفهموا عن رسول الله (ﷺ) كانوا يقولون له ص "راعنا" بمعنى ارفع حالنا وأمهلنا غير أن بعض اليهود تعلقوا بهذه الكلمة للسخرية منه عليه الصلاة والسلام فراحوا يكررون هذه الكلمة مقابله قاصدين معناها العبري لا العربي حيث كانت تعني بالعبرية: "اسمع غير مسمع" أو كانوا يريدون بها

معناها العربي الثاني لا هذا الظاهر أي يريدون بها "حمقنا". كل هذا لأجل أن غير الكلم عن موضعه باللسان ويطعنون بالدين" (ليا بألسنتهم وطعنا في الدين).

ولو أنهم مكان العناد والعداوة للحق والجرأة القبيحة ووالقاحة ساروا علي الطريق "ولوأنهم قالوا سمعنا وأطعنا وسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا" (علي أثر هذا الكفر قست قلوبهم قسوة كبيرة فلا يمكن إحياءها بهذه السرعة والسهولة). وكان المؤمنون والطيبون الذين يذعنون للحق قليل فيهم (ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا) (مكارم شيرازي-ج١-ص: ٤٠٦).

بعض اليهود إضافة إلي أنهم كانوا يغيرون أوصاف الرسول ص المكتوبة في التوراة فقد كانوا يستخدمون هذا الأسلوب للسخرية منه في حوارتهم معه ظنا منهم أنه ص لا يفطن له. هذه الكلمات وما يقرب منها في الشبه والتي تفتقر للخير في الدنيا والآخرة والتي تسبب الضرر في الأخلاق والدين تكشف عن حقيقتهم وباطنهم الخبيث ونفاقهم وعنادهم (ثقفي طهراني-١٣٩٨-ج٢-ص: ٦٢).

الجملة في الآية مبنية علي أسلوب الاستدراك (بل لعنهم....) مما يشير إلي أن الموعدة لا ينفع فيهم شيئا وأن اللعنة حلت باليهود وفي مجتمعهم علي إثر هذا فهم بعيدون كل البعد عن رحمته تعالي وغارقون في غضبه ونقمته (حسيني همداني-١٤٠٤، ج٤، ص: ٧٣).

النتائج:

نستج من مجموع ما قيل أن القرآن الكريم في البداية عبر بيان الهمز واللمز قد وضّح الأمور التي تجلب اللعن للفرد وأنه في بعض الآيات نظرا لرأي صاحب الميزان بشأن السائلين من بني إسرائيل فإن سؤالهم بقصد الإساءة والاستخفاف كان نتيجة وقاحتهم وإيذائهم.

علي هذا يمكن القول إن من نتائج السخرية علي خلق الشخص هي الوقاحة والجرأة وتبديله لشخص مؤذٍ للآخرين. وأيضا مما يحتاجه الشخص في مواجهته للأفعال وردات الفعل في حياته الاجتماعية هو معرفة الأمور النافعة والضارة (ذات الخطورة) علما أن الشخص يتعرف علي كثير منها من خلال الخبرات لكن لتوفيره حياة أفضل يعوزه أن يتعرف علي الأمور ذات الخطر الاجتماعي كالسخرية والاستهزاء. فإذا القرآن يوصل

رد الفعل الاجتماعيّ للسخرية عبر تسليط الضوء على الآية ١١ من سورة الحجرات..... (299)

للمجتمع هذا التحذير النافع ويرى من نتائج عدم الالتفات له في المجتمع: زوال السلام والمحبة الاجتماعية وجرّ المجتمع صوب الانحراف وانتشار الجور بين الأشخاص وفي المجتمع وزوال الخير وأساس المجتمع.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما ابتدئ به القرآن الكريم

- باباي، ا.ع. ١٣٨٢ش، مختصر تفسير الأئمة، دار الكتب الإسلامية، طهران، الثالثة عشرة.
- ثقيي طهراني، م. ١٣٩٨ق، تفسير روان جاويد، دار نشر برهان، طهران، الثالثة.
- حسيني همداني، س. م. ح. ١٤٠٤ق، انوار درخشان، مكتبة لطفی، طهران، الأولي
- حسيني شاه عبد العظيم، ح. ١٣٦٣ش، تفسير اثني عشري، دار نشر ميقات، طهران، الأولي، ج ٨، ٤٦٢ صفحة
- خاني. ر. رياضي. ح. الف. ١٣٧٢، ترجمة بيان السعادة في مقامات العبادة، مركز الطباعة والنشر جامعة بياض النور، طهران، الأولي، ٥٩٥ الصفحة.
- خسرواني، م.ع. ر. ١٣٩٠ق، تفسير خسروي، طهران، الانتشارات الإسلامية، ٦٤٩ صفحة
- درويشي، ا. ١٣٧٧ تبشير وانذار در قرآن، رسالة ماجستير، جامعة قم.
- الراغب الإصفهاني، ح. م. ١٤١٢، المفردات في غريب القرآن، دار العلم الدار الشامية، دمشق بيروت، الأولي
- رهنما، ١٣٤٦ش، ترجمة وتفسير رهنما، دار نشر كيهان، طهران، الأولي.
- روح بخش، ع. ١٣٨٨، هشت گناه براساس ٧٠٠ سند از قرآن وحديث (ثمانية ذنوب وفقا ل٧٠٠ مستمسك من القرآن والأحاديث)، طهران، ورع، ١٨٠ الصفحة
- سورآبادي، ا.ع. م. ١٣٨٠ش، تفسير سورآبادي، فرهنك نشر نو، طهران، الأولي
- صدري أفشار، غلامحسين، حكيم، نسترن، ١٣٨٢واژه نامه ي فني، الطبعة السادسة. طهران: نيلوفر
- الطالقاني، س. م. ١٣٦٢، پرتوي از قرآن (قبس من القرآن)، شركة سهامی انتشار، الرابعة
- الطباطبائي، م. ح. ١٣٧٤ش، ترجمة تفسير الميزان، دفتر انتشارات اسلامي، جامعة حوزة علمية مدرسين قم، الخامسة.
- الطبرسي، ف. ح. ١٣٦٠ش، مترجمان، ترجمة مجمع البيان في تفسير القرآن، دار نشر فراهاني، طهران، الأولي.

رد الفعل الاجتماعيّ للسخرية عبر تسليط الضوء على الآية ١١ من سورة الحجرات..... (300)

- الطبرسي، ف.ح.، مترجمان ١٣٧٧ش، ترجمة تفسير جوامع الجامع، دار نشر جامعة طهران وإدارة الحوزة العلمية قم، طهران، ٧٩٠ الصفحة.
- طيب، س.ع.، ١٣٧٨ش، أطيّب البيان في تفسير القرآن، دار نشر اسلام، طهران، الثانية.
- العميد، ح.، ١٣٩٠، معجم عميد الفارسي، أمير كبير، طهران، الثامنة والثلاثين
- الغزالي، محمد بن محمد، ١٣٩٣، إحياء علوم الدين، طهران، نشر فردوس
- القرشي، س.ع.، ١٣٧١، قاموس القرآن، دار الكتب الإسلامية، طهران، السادسة
- قرائتي، م.، ١٣٨٣، تفسير نور، المركز الثقافي لدروس من القرآن، طهران، الحادية عشرة، ج٧، ٥١٢ الصفحة
- كاشاني، م.ف.، ١٣٣٦ش، تفسير منهج الصادقين، في إلزام المخالفين، طهران، مكتبة محمد حسن علمي
- مترجمان، ١٣٧٧ش، تفسير هداية، مركز التحقيقات الإسلامية لأستانة قدس الرضوية، مشهد، الأولي.
- مترجمان، ١٣٧٧ش، ترجمة تفسير جوامع الجامع، مركز التحقيقات الإسلامية لأستانة قدس الرضوية، مشهد، الثانية.
- مصطفوي، ح.، ١٣٨٠ش، تفسير روشن، مركز نشر كتاب، طهران، الأولي.
- مكارم شيرازي، ن.، ١٣٧٤، تفسير الأنموذج، دار الكتب الإسلامية، طهران، الأولي
- مهيار، معجم ابجدي عربي-فارسي، بي نا، بي جا
- مصطفوي، ح.، ١٣٦٨، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، الأولي، ٤٠٨
- نجفي، خميني، م.ج.، ١٣٩٨ق، تفسير آسان (التفسير الميسر)، طهران، الأولي
- المصادر العربية:
- أبو حمزة الثمالي، ث.د.، ١٤٢٠ق، تفسير القرآن الكريم (الشمالي)، دار المفيد، بيروت، الأولي، ٣٧٢ الصفحة
- البحراني، س.، ١٤١٦ق، البرهان في تفسير القرآن، مركز بعثت، طهران، ٣٩٨ الصفحة
- الفيض الكاشاني، م.م.، ١٤١٥ق، تفسير الصافي، دار نشر الصدر، طهران، الثانية، ٣٩٥ الصفحة.
- القمي، ع.ا.، ١٣٦٧ش، تفسير القمي، دار الكتاب، قم، الرابعة، ٣٩٢ الصفحة
- مغنية، م.ج.، ١٤٢٤ق، تفسير الكاشف، دار الكتب الإسلامية، طهران، الأولي، ج٢، ٥٠٨ الصفحة